المَفازُ الأدَبي

مِنْ دُرَرِ المُتنبّي

انتقاء وتعليق

د. حمزة بن فايع إبراهيم عسيري



بسم الله الرحمن الرحيم

المَدخلُ

الحمدُ للهِ على أفضاله ، والشكرُ له إنعامه وأنواله ، وصلّى الله وسلم خير رسله وأنبيائه ، نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبِهِ أجمعين...

أما بعد:

فلا يزالُ ديوانُ المتنبي سفيرَنا إلى العربيةِ وجمالياتِها ، ومفتاحَنا إلى الإبداعِ وفلسفته ، ومؤنسَنا ساعاتِ الرهق والكَلال ، وقد يسَّر الله العناية به مبكرًا ، لجمالٍ احتواه ، ولغةٍ تفرد بها ، وحِكمٍ طابت فيه، فسُحر به كثيرون، وشُغلَ به أقوام ، وتخصص له محبون..! وهو أهلٌ لذلك التقدير والحفاوة ، فقد التفّتْ بديوانه راياتُ الجمال، وقصورُ الإبداع ، وأفانين العطر والسَّناء...!

حتى أضحى تاجًا مكنونـًا، وغرسا مبهورًا ، وعلَمًا مشهورا ، وسار بذكره الأدباء ، وتبادله الشعراءُ ، وتناقله الرواةُ والأحباء...!

ومن قبلُ كنا نشرنا قبَساتٍ من ديوانه تحت مسمى (مسامرات أدبية) في ظلال ديوانه . وفي هذ الكتاب نسطرُ مجالسَ مشابهة من خلال (المَفاز الأدبي) نستلهم دُرَره، وننشد بدائعه، ونبث من محاسنه وغرره، علَّها تكون متنزهًا رائقـًا لكلِّ ذي طُلبة ورغبة وبهجة، ويهفو لها كلُّ ذي همةٍ وفلسفةٍ وطُعمة .

ومثلُها جديرٌ بالحفظ ، وخليقٌ بالفهم والتأمل ، إذ حفظُها تقويمٌ للسان، وفهمها توسيعٌ للخيال، وتأملها نافذة إلى البيانِ ، وفي

الشعر الخصيب بيانٌ وبانٌ وبنيان . وفي القريضِ الجميل جُمَل وشُعلٌ وحُللٌ.

ولم يزلِ الأدباء أفصحَ الناس كلاما ، وأحسنَهم بيانًا ، وأطيبَهم كتابة، ولذلك أُلفت الكتبُ في روائعه ، وجُمعت جواهره ، وصُنفت محاسنه ونفائسه، وما " المفضلياتُ، والأصمعيات ، والحماسة ، وجمهرة أشعار العرب" ، إلا شكلًا من تلكمُ الأصناف الأدبية ، والتي غايتها ترويحُ البيان، وتحسينُ اللسان، وصقل الشبان . لأن من حفظها أفلحَ لسانه، وطابَ منطقُه، وازدهر حديثُه وكلامه .

ولما كان شعرُ المتنبي فائقًا عابقًا ، قد حاز القِدْح المعلَّى، والمقامُ الأرقى في ذلكَ ، جُرِّدت أبياته ، وفُرزت روائعه ،

وانتُقيت لآلئه، وقد تميز ديوانه بالحكمةِ السّيارة، والمعاني الدفاقة ، والجزالة النفاثة، التي نفَذت إلى آذان الناس فحُفظت بلا تردد، وتنوقلت بلا حسبان، ووضع فيها لمساتُ جمالٍ نادرة، وهمساتُ عطرٍ رائقة ، حتى ضُبطت، وشُغل الناس بها وبتردادها...!

ولذلك نكتبُ هنا إمتاعًا للنفس ، وإسعاداً للشباب والفتية، بحيث تُحفظ لغتُهم ، وتشعلُ ألسنتهم، وتطيبُ أساليبهم ، ويملكون مع الدربة فنونَ الآلة الأدبية ، التي تصلح ملافظهم وأخلاقهم ، فإننا هنا نوضحُ المعاني الجميلة، ونحذر من التجاوزات العليلة ، ونستجيدُ ما فيه الجياد اللطاف، ونستبعد ما فيه القباح السخاف ، كممادح مبالغ فيها بلا رادع ولا تأمل ، أو

مزالق شرعية فجة ، لا تقالُ إلا من جهة متهور ، أو رقيق الديانة ، والله المستعان .

ومن المؤسفِ وقع أبو الطيّب في ذلك في مواضعَ عديدة من ديوانه ، وقد نبّه عليها بعضُ المعاصرين ، ووقفنا على أشياء لم تُذكر هنالك، وقد أعرضنا في هذه المختارات ، إلا قليلًا ، مما جاءت مناسبته ، فكُشفت حقيقتُه ومرامُه ..!

واللهَ نسألُ أن يحفظَ شبابنا، ويديم علينا لغتنا الغراء ومحاسنها ، ويجعلهم مشاعلَ لها، ومعالمَ في صيانتِها والمفاخرة بها ، إنه جواد كريم .

محايل عسير

١٥/ ١٢/ ١٤٤٢هـ

١/ تنزيه الآراء

ما كانَ نَوْميَ إلاّ فَوْقَ مَعْرِفَتي ❋❋ بأنّ رَأيَكَ لا يُؤتَى مِنَ الزَّلَلِ

- هـذا مِـن محاسـنِ الاعتـذارات الشـعرية ، والتـي تسـتنطق الحلم والأناة مـن الفضـلاء والقـادة، الـذين لا يحـب الشـاعر إغضـابهم لمكـانتهم ، أو أفضـالهم السـابقة، وأن تقصـيري تجاهك، أو نسياني الحضور إليـك ذاتًا او شـعرًا ، إلا لعلمـي بأنك تغتفر لي ذلك، وأنّ عقلك مصون، ورأيك لا ينطلق من الزلل، ولا يصغي لواشٍ، أو يستمع لكائد ، وما أكثـرهم عنـد الوجهاء ، وفي المحفِل الثقافي ....!
- وهو هنا يَستلطفُه بتزكيـة عقلـه، ومـا يعرفـه عنـه مـن حُسـن الولاء ، وصدق المحبـة .. فـلا يغرنّـك الأقاويـل ، ومـا يُشـاع

من أهاويل، لأنك تفرز الأقوال ، وتدرس الأحوال ، وتعرف الصادق من الكاذب ، وكل آرائك وتصرفاتك منتهاها الحكمةُ والدقةُ ، ولا تصدر عن عجل أو خطل وزلل..! كما قال عنه سابقًا:

ولكن تفوقُ الناس رأيا وحكمةً ** كما فقتهم حالاً ونفساً ومحتدا

- والزلل هنا –وهو يبطنه – اتهام الناس بلا دليل ، أو الإصغاء للوشاة ، ومَن في نفوسهم غش ودخل ..! وهؤلاء ليسوا بنَصحة، لأنهم يحملونك على الوقيعة، وظلم الحبة، والشك في كل قريب وعزيز.... ومن أقوالهِ المشهورة :

لِهَوى النُفوسِ سَريرَةٌ لا تُعلَمُ ** عَرَضًا نَظَرتُ وَخِلتُ أَنّي أَسلَمُ

٢/ فرصة المعالي

وَمَنْ يَجِدُ الطّرِيقَ إلى المَعَالي ** فَلا يَذَرُ المَطيَّ بِلا سَنَامِ

- كلُّ من عرف طريق المعالي، يُرى عليه ذلك في همّه وهمّته، وجدّه وحركته، حتى إنه مرافق ناقته على كل حال ، أجهدها سفرًا ، وأنهكها تعبا ، حتى لتكاد أسنمتها تذهب من كثرة الترحال ، وقطع المفاوز....!
- وهذه علامة علو الهمة ، وليس دعوى بلا دليل، أو ادعاء بلا برهان.! وهي نعمةٌ من الله عليك، أن تستبين لك المعالي ، ويلتهب الطموح ، وترى معالم القلعة ، ونغمات المجد.. فليس لك عذرٌ في الجد، ولتشحذ همتك، وتمتطي دابّتك .

- وفي ذلـك اغتنـامٌ للفـرص، واصـطياد للنفـائس ، إذ كـم مـن عضلاتٍ لم تتحرك، وشـباب لـم يفقهـوا الطريـق ، وعزمـاتٌ مصـروفة في الأسـافل ..! وقـد تجسـدت لـه طـرق المعـالي، وانبلجـت الأنـوار ، واتيحـت محاسـن ونفـائس .. ولكـنهم تأخروا وسوفوا ، وقدموا الأدنى على الأبقى والأنـدى.. ثـم ندموا بعد ذاك، وفـيهم مـن بكـى وتنـدم، وذهبـت نفسُـه علـى ذلك الزمان حسرات وتبعات....!

٣/ نصح الحمقى والسفهاء:

وَمِنَ البَلِيَّةِ عَذلُ مَن لا يَرعَوي ** عَن غَيِّهِ وَخِطابُ مَن لا يَفهَمُ

- يعلمنا فنون النصيحة وأنّ وضعها في غير أهلها متعبٌ مؤسف ، فيقول: لا تلم من لا ينتهي عن غيه، وتمدد في سوئه ، وكذلك مخاطبة الحمقى والأغبياء...! فالنصيحة هنا غير مجدية..! وهي في طبقتين: حمقى فاقدةٌ للعقل وحسن التفكير ، والكلام معها غير مستوعب ولا مفهوم ...! وسفيهة متمردة قد فسقت، وخرجت عن النهج، فهذه غاصةٌ في الغي، سامدة في اللهو، وقد سمعت من النصائح ، ورأت من الحوادث .. ولكن لم تكتفِ.. كما قال تعالى :(أولا

يرونَ أنهم يفتنونَ في كل عامٍ مرةً أو مرتين ، ثم لا يتوبـونَ ولا هم يذّكرون) سورة التوبة .

- فحينئذٍ تبلى بهـم، وينكـأك التعـب، وإنِ احتسبت الثـواب ، ولكـن الحكمـة مطلوبـة ، فـالأول فاقـدُ العقـل ، والثـاني فاقـد القلـب، وكلاهمـا موضـعُ النصـح والتـأثير ، ومحـلُّ الـوعي والانتفاع، قال تعالى :(لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) سورة الأعراف. وقال تعـالى: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) سورة الملك .

- وفيـه درس وضـع العلـم في أهلـه والخطـاب في أربابـه ، وتنزيل الناس من الكلام منازلهم، فخطاب الكبار لا يمنح للصغار ، والعلمي المحض، لا يعطى للعوام، وخطاب النساء يختلفُ عن الرجال، وهلمَّ جرا .

٤/ التهديد المبطن :

أُريكَ الرِضا لَو أَخفَتِ النَفسُ خافِيا ** وَما أَنا عَن نَفسي وَلا عَنكَ راضِيا

- هنا تهديدٌ مبطن، وإنذارٌ خفي، وأن أظهرتُ لكم الطيب والمراضي ، وإلا فإنني غير راضٍ عنك، ولدي مطالب وشجون، وكذلك لست راضيًا عن نفسي، وما آلت اليه من أوضاع ومتاعب..!

- وتصلح تهدى معاتبةً لبعض الأخلة والأصدقاء ، جراء ما صنعوا تجاهك ، أو قصروا في موضوع ، أو تجاهلوا مكانتك...! فتهديهم مثل ذلك، عتابًا منبهًا ، وليس مهددًا ، وإيقاظ وليس اتهامًا ،ونصحًا وليس تقبيحًا..! فالنفوس

تضيق من التهديد ، ويتميز من المتسلط أو الهجاء ، والأحسنُ العتاب اللطيف..!

- ويزيدُ من لطفه: فما أنا عن نفسي ولا عنك راضيا..! فعدمُ رضاه عن نفسه يمحو عدم رضاه عن الآخر ، ويفتح آفاقًا للفكر يجولُ فيها، ويقع على محاسن طيبة، ولا يسيء الظن...!

٥/ كرامُ الفرسان :

وَما تَنفَعُ الخَيلُ الكِرامُ وَلا القَنا ** إِذا لَم يَكُن فَوقَ الكِرامِ كِرامُ

- الخيل والقنا والسيوف هي آلاتُ الحرب وكرائمها ، ولكنها لا تجدي وليس منها فائدة ، إلا بكرامٍ يرتدونها ، وأبطال يطالونها ، ومغاوير يفقهون ضربَها وضِرابها ، فإنما الخيلُ بفارسها، والسيوف بضاربها ، وكذلك المناصب والخطب والعلوم والصنائع ، كلٌّ يدعيها، وقد يشتريها تجملاً وتفاخراً ، ولكنها لا تحمد إلا بماهريها والحذاق..!
- كذلك الصلوات والأذكار كلٌّ يفعلها ويلهج بها ، وقد لا يجد لها أثراً في حياته، لوجود موانع، أو ضعف القلب والتعاطي معها، وفي هذا السياق يقول الإمامُ ابن القيم رحمه

الله : "والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به، والساعدُ ساعد قوي، والمانع مفقود؛ حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، ."

- فلا بدَّ للمهن والحروب والصنائع كرام يحفظون شرفها ، ويؤدون حقها، فحينها يحمدون وتحمد فعالهم ، ويمدحونَ وتمدح ثمارهم . ومن كرامِ أولئك الذين ارتدوها عبرَ التاريخ علي وخالد والزبير وأسامة رضي الله عنهم، فكرمت بهم وبانتصاراتهم . والله الموفق .

٦/ الفِراقُ المرُّ :

آهِ لم يدرِ ما العذابُ فؤادٌ ** لم يذقْ طعمَ فُرقةِ الأحبابِ

- من لم يجرّبِ الحبَّ وطيب الوصال ، وملذات التلاقي، لن يفقه مرَّ الفراق، وشدة البون .! لأنه لم يعشق، ولم يحب ولم يجرب فقدان الأحبةِ ، وهجران الخلان ..! ففي القلب مشاعر لا تعيها القلوب القاسية، وفيه شجون وشؤون لا تعرفها العواطف المتجمدة . . .

- وليس الفراق خاصًا بالعشاق ، بل هنالك فراق الأبوين والأقارب ، وأصدقاء أجلة ، لم تلدهم أمهاتكم ، يتألمُ بعضنا لمصابهم ، والأشد فراقهم ، ومغادرتهم من بين أظهرِنا ، وتحتَ سمعنا وبصرنا.. وهذا المعنى مطروق عند

المتنبي غير مرة ، وكذلك عند غيره من الشعراء . وله: لا تعذلِ المشتاقَ في أشواقهِ...حتى يكونَ حشاكَ في أحشائهِ...

ولبعضهم : لا يعرفُ الشوقَ إلا من يكابده... ولا الصبابةَ إلا من يُعانيها...

- وآه كلمةٌ توجع وتألم من حال أولئك الذين يستنكرون دموع المحبين وأحزانهم، وما جربوا شيئًا من ذلك...! فما عرفوا الحب، ولا طعم الفراق، ولا موانع الحياة او صروف الدهر ، أو أرزاءَ الترحال ... كما قال امرؤ القيس :

كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ** لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

يريد وقف بعد رحيلهم ، في حيرة وقفةَ جاني الحنظلة ينقفها بظفره ليستخرج منها حبها، وهي صورة معبرة عن ألمه الشديد، وعذابه الأسيف . . . !

٧/ الحِلمُ الطبَعي :

وَإذا الحِلْمُ لمْ يَكُنْ عن طِباعٍ ** لم يَكُنْ عَن تَقَادُمِ المِيلادِ

- العقلُ نعمةٌ من الله تولد مع المرءِ فطرةً وجبلة ، ولا تصنعها الظروف والسنوات، ولا طول العمر والغمرات.. فمن كان ذا طيش وتهور ، لم يغن عنه تقادم الميلاد، ولا طول الآماد... ! لأنَّ العقل الرزين يورثُ الهدوء والمروءة ، ويحمل على الوقار والمشورة ، كما قال تعالى : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ). سورة آل عمران .
- والعاقلُ لا يتخذ قرارًا إلا بعد روية واتزان ، وتأمل واستفسار ، خلافًا لذلك الطائش المندفع ، الذي لا عقل

ولا روية ، ولم يزِده طول العمر إلا عنادًا وتصلبًا ..! وهذا في الغالب على العنصر البشري .

- وقد يوجدُ أناسٌ روّضوا أنفسَهم ، وعالجوا عقولَهم بالعلم والتجربة ، وحُسن الصحبة ، وتقريب المستشارين الأمناء ، فباتوا مع الوقت أكثر وعيا واستنارةً، وهجروا الطباع القديمة الى طباع جديدة ، جنيت بالعلم وفقه التجربة ، وديمة المراس ..!

٨/ حياة المغالبة:

فالمَوْتُ أعذَرُ لي والصّبرُ أجملُ بي ** والبَرُّ أوْسَعُ والدّنْيا لِمَنْ غَلَبَا

- هو على سجيته المعروفة هنا بحب الإباء، ورفض المذلة، ومغالبة الدنيا وأرزائها وأقرانها ، وأنها لا تؤتى إلا على جسر التعب والمجالدة ، كما قال هنا ولو بالسفر فهو واسعٌ ببَره وأرضه وسهوله ..(ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها) سورة النساء . وهي أطيبُ من حياة المذلة، ودار الهوان والمنقصة.

- ويشبه ذلك قوله : وإذا لم يكن من الموت بدٌ... فمن العارِ أن تموت جبانًا..! وغالب شعره في الشمم وعلى الهمة ، وهي جبلة في شعره وخصاله، واحتوت غالب قصائده على ذلك المعنى..! ولذلك هو يجالد الحياة ، ويصبر على

نكباتها وتعبها، ليبقى عزيز النفس، طامح الطرف ، لا يذل ولا يهون ، وإذا حضره الموتُ على ذلك فعذره أنه مات عزيزًا ، وعاش كريمًا ...!

- ولو تقلّدَ كل شاعر ذلك، لقلَّت الممادحُ ، ولم تذهب إلا لأهلها المستحقين ، ولكنهم يجيزون شيئًا من ذلك لنفوسهم، ويَعْتبونَ على غيرهم إذا تجاوز وتلاين..! ولكن معناه من حيث مغالبة الحياة والصبر على ضرائها وبأسائها في محله وموضعه ، لا سيما وقد طُبعت الحياةُ على كدر، وتسلطت فيها شرور، وساد فيها أوغادٌ على ظهور كرام، وفي القرآن (ولا تَهنوا ولَا تحزنوا وأنتم الأعلونَ إن كُنتُم مؤمنين) . ولا حول ولا قوةَ إلا بالله .

٩/الوصالُ المنقطع :

نَصيبُكَ في حَياتِكَ من حَبيبٍ ** نَصيبُكَ في مَنامِكَ من خيَالِ

- هنا يجسِّدُ لنا معنى الحياة الحقيقية ، وأنّ وصالها منقطع، ولذاتها قليلة، ومتاعَها منتهٍ، فلا يغتر بها إنسان ، ولا يُخدع بها متعلق أو متشوف ..! فكم من وصالٍ مزقه الموت، أو غاله السفر أو باعده المرض ..! ومن هنا ما ينبغي لنا الوثوقُ بالدنيا كثيرا ، فإنها خداعة ، وحياتها زائلة، وملاذها ليست بمأمن..!

- وفي تشبيه ذلك الوصال بالخيال في المنام كنايةٌ عن سرعة انقضائه ، وشدة ذهابه، وكأن وصالات الدنيا وملاذها شبية بذلك الحلم السريع ، وهذا المعنى استهدفه

الحسن البصري رحمه الله :(إنما الدنيا حلم، والآخرةُ يقظة ، والموت متوسط ؛ ونحن في أضغاث أحلام).

وللتهامي البيت المشهور : فَالعَيشُ نَومٌ وَالمَنِيَّةُ يَقِظَةٌ...وَالمَرءُ بَينَهُما خيالٌ ساري .!

- ولو وعَينا هذه الحقيقةَ لانتبهنا لأرواحنا ، وأصلحنا أحوالنا ، وتهيأنا لآخرتنا ، فهي محتاجة لعملٍ وزاد، وذكرى ومحاسبة، وتفكرٍ واجتهاد (وتزودوا فإنّ خيرَ الزاد التقوى). سورة البقرة . واللهُ الموفق.

١٠/ القوة المعنوية :

قد نابَ عنكَ شديدُ الخوْفِ وَاصْطنعتْ ** لَكَ المَهابَةُ ما لا تَصْنَعُ البُهَمُ

- بعضُ الناس يُنصرُ بأمور خارجية توفيقا من الله، وليست بقوة سلاح، أو كثرة عددٍ وأبطال ، ومن ذاك قذف الرعب في قلوب الأعداء ، وهو مستفاد من الحديث النبوي (نُصرتُ بالرعب مسيرةَ شهر) ، وهذا من خصائص رسول الله عليه الصلاةُ والسلام، وقيل هي لأمته من بعده.
- وهو هنا يقول وقع لسيف الدولة الحمداني ذلك، فلقد تهيبك الأعداء ، وانقذفَ في قلوبهم من مهابتك أشدَّ ما لو لقيتهم بالجنود والبُهَم أي الأبطال الكماة ...! ولذلك مجرد سماعهم بقدومك ، أو استذكار اسمك يُصرّعون

رعبا والمـًا، لما وضع في قلوبهم من الخـوف، ولمـا فُصِّـلت عليك من الهيبة .

- والآن تستعملُ في هذا العصر الحديث ما يعرف بـالحربِ النفســية ، مـن خـلال وســائل الإعـلام ، وبــث الشـائعات لصـناعة قـوة خفيـه مجهولـة ، قـد لا تكـونُ لهـا مصـداقية ، ولكن هدفها خلخلةُ العدو، وتشتيت قلوبهم ، لكي يُردَعـوا أو يُحيّدوا ، أو يهزموا من مكان سحيق....!!

١١/ الضيق بالأخلاق السيئة :

وَآنَفُ مِنْ أخي لأبي وَأُمّي ** إذا مَا لم أجِدْهُ مِنَ الكِرامِ

- فعـلًا ، كيـف ترتضـي وأنـت ذلـك الخلـوق الكـريم ، أن ينتسب لك من يَشينك فعله .. والتضايقُ من الأخلاق السيئة، والعـادات الطيبـة، متأصـل في النفـوس الكريمـة والمعـادن الأصيلة ، التي تكرهها حتى في أقربِ الناس اليها ، إذا ضيعها وتخلى عنها ، ولو كان أخي الشـقيق..! فـلا يطـاق فعلـه، ولا تستطابُ مجالسته ومؤاكلته..!

- وهذا يعطيك علامة ارتقاء الأخلاق عند أهليهـا ومرتاديهـا من الكرامِ الخيار ، الـذين يُعلونهـا علـى المـال والمناصـب والجاه، بل هي جـاههم ومفخـرتهم أمـام النـاس ، والنقصـان

فيها مذموم معيب، ومخبولٌ سليب ، وفي الإسلامِ:(إنما بُعثت لأتممَ مكارم الأخلاق) فتممها صلّى اللهُ عليه وسلم بمحاسنه الجميلة ، وخصاله الشريفة، ومسالكه الفريدة .

- وجعل الأخلاق ليست مجردَ صفة جميلة ، ولا حليةً متقلدة، فحسب ، ولكنها باب فسيح إلى الجنة ، ومن أكثر الطرق الموصلة اليها ، والمحظوظين بالقرب من رسول الله فيها مكانة ومجلسًا .

١٢/ النفسية التعيسة :

كَفى بِكَ داءً أَن تَرى المَوتَ شافِيا ** وَحَسبُ المَنايا أَن يَكُنَّ أَمانِيا

- هذا أشقى داء، وأسوأ أمنية ، أن ترى الموت شافيًا لك من البلايا ، وحلاً لما أنت فيه من النوائب ، وهو منهي عنه...! والشاعر يحب الحياة ، وعالي الهمة، وجليس الامراء والفضلاء ، ولكنه في لحظات من حياته يأتيه الشقاء ، وتشمئزُ نفسه، فلا يجد أصدقاء أوفياء ، ولا جلساء درس مروءة، إلا أعداء متسترين ، وخلانًا منتفعين ...!

- فيذكر سببَ تمنّيها : تمنيتَها لما تمنيتَ أن ترى ... صديقا فأعيا أو عدوا مُداجيا...! أي مجتمعٌ كاذب نفاقي، لا يحمل من صفات الرجولة والمروءة ، ما يجعلك تتمسك فيه، أو

تـؤثره علـى سـواه، ولـذلك ترتجـي حينهـا مغـادرةَ الحيـاة، والرحيل إلى الدار الآخرة...! وهذا معنى متكـررٌ في شـعره ، الضـيق بالأصـدقاء ، وكثـرة الأعـداء المتربصـين بـه، واللهُ المستعان. كماقال : بمَ التعلل لا اهل ولا وطنُ ... ولا نـديم ولا كأس ولا سكنُ..؟! وقوله : ولما صار ود الناسُ خبـًا .. جَزَيتُ على ابتسام بابتسامِ..!

- وهـذا المعنـى لا ينسـجمُ ونفسـية الشـاعر المتحديـة للخطـوب، الرافضـة للضـيم، والضـائقة بالضـعف، ولكـن أحيانًا تعصف بـالنفوس مواقـف تجعلـه يختـار بـلا وعـي، أو يرضخ للساعة اليائسة ، والله المستعان .

١٣/ رحيلُ العقل :

وَما هِيَ إِلّا لَحظَةٌ بَعدَ لَحظَةٍ ** إِذا نَزَلَت في قَلبِهِ رَحَلَ العَقلُ

- يصورُ لحظاتِ العاشق المتصابي، الذي يُبتلى بالنظرات ، وهوى الحسان، ويعيشُ مسرِّحًا طرفَه في الرائح والغادي، كيف يصرعه الهوى ويتمكن منه، مع أنه بدا بلحظةٍ خاطفة ، ولكنها تراكمت وتكومت حتى صارت خيالًا معشعشًا في داخله ، فآذنت لرحيل العقل ، وغياب الوعي....إذا نزلت في قلبه رحل العقلُ..! وله نظائر عديدة في ذلكَ منها :

يَستَأسِرُ البَطَلَ الكَمِيَّ بِنَظرَةٍ ** وَيَحولُ بَينَ فُؤادِهِ وَعَزائِهِ

- وكما قيل سببُ رحلة العقل، هو هجوم الهوى ، وطغيان العشق الذي يفتك بالروح، ويهدُّ قوائم التفكير والرزانة ، فهنا لا يجتمعان البتة ... كما قال عقيبه: جَرَى حبُّها مجرَى دمي في مفاصلي ... فأصبحَ لي عن كل شغلٍ بها شُغْلُ...!
- ومع أنه وصفٌ للحالة العاطفية ، إلا أنه تحذير لذوي العقول ، أن لا ينجرفوا في مهبِّ الأهواء، وقد طُمست عقولنا، وهُدّت جسومنا...

- لأن رحيلَ العقل يعني غلبـةَ العواطف ، وانعـدام الرشـاد ، والغـوص في الملاهـي ، والتفلـت الـديني ، وعـدم تقـديس الشرائع ، وتبديد الأهداف الصالحة ، والفتنة الطامة بالعقل وتوازنه وصلاحياته .

١٤/ الأخلاق الآسرة:

وَما قَتَلَ الأحرارَ كالعَفوِ عَنهُمُ ** وَمَنْ لكَ بالحُرّ الذي يحفَظُ اليَدَا

- ربَّ خلقٍ نبيل يخطفُ قلوبَ الناس، ويسترقهم كالعفو والمروءة والجود المثالي، والحفاوة الزائدة ، فحينما يُعفَى عن حرٍّ رفيع ، فقد استرقه ذلك الكريم، وإذا أغدقَ عليه فقد تكنفه بأفضاله ، وإذا فرَج كربته فقد أسره بنُبله وجوده ... ومع ذلك قد يتنكر بعضهم لذلكَ مع مضيّ الأزمانِ. ولذلك رجع وتأسفَ...: ومَن لك بالحر الذي يحفظ اليدا ...
- وكأن الزمانَ قد شحَّ بالأحرار الأصفياء ، الذي يحفظونَ المعروف ، ولا ينسَون الجميل ، فقد تبدلت الأخلاق ،

وتغيرت الفعائل ، وتقلصت الشمائل... كما قيل : ولكنَّ أخلاقَ الرجال تضيقُ...

- ولذلك قال بعدها : إذا أنت أكرمتَ الكريمَ ملكتهُ ... وإن أنت أكرمتَ اللئيم تمردا..! أي إذا وافق ذلكَ الإكرام معادنَ نفيسة صانوك وحفظوه، فملكتهم ، وإنْ وقعتَ به على لئام ، فقد وقعت في شرِّ أعمالك ، ولن تلقى منهم إلا التمردَ والعناد ..! كما قال في مدح بعضهم :

ويَصْطَنِعُ المَعْرُوفَ مُبْتَدِئًا بهِ ** ويَمْنَعُهُ من كلّ مَن ذمُّهُ حَمد

١٥/ قلة الإنصاف:

وَلَم تَزَل قِلَّةُ الإِنصافِ قاطِعَةً ** بَينَ الرِجالِ وَلَو كانوا ذَوي رَحِمِ

- الإنصافُ ضربٌ من العدل والقسطاسِ المستقيم ، الذي بحضوره تسمو الأخلاق وترتقي ، وبفقدانه يتمُّ التقاطع بين الناس، وتحصلُ الشحناء ولو كانوا من ذوي القرابات ، قال تعالى :(إنّ اللهَ يأمر بالعدل) سورة النحل .
- وتركه والإعراضُ عنه تسجيلٌ للظلم، وبخسٌ للناس وأشيائهم، ويُسبّبه ضعفُ الدين، ومهانة الأخلاق ، والأنا الزائدة ، والكبر الخفي...! ولذلك كان التزامهُ سببًا للتحاب والعدل، ونشر مكارمِ الأخلاق .

- والإنصافُ من النفسِ انتصارٌ عليها، وتسويدٌ للعدل، وتقوية للروابط، وحفظٌ للعهد، وتطبيق للإسلام والشمائل ، واكتساب للأجور ، قال تعالى :(وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذَا قربى ، وبعهد الله أوفوا) سورة الأنعام.

- وخلاصةُ الإنصاف: إعطاءُ الناس ما يستحقونه كاملا ، بلا بخس ولا تحيز ولا محاباة . وقد يكون ذلك بالأقوال ، وقد يكون بالأفعال ، أو بهما معًا . ولا شك أن هذا المفهوم يتشابه مع مفهوم العدل، ولذلك قال بعض العلماء : العدلُ والإنصاف توأمان ، وإن كان العدلُ يشمله وغيره .

١٦/ الشكرُ المضاعف:

فَشُكري لَهُم شُكرانِ شُكرٌ عَلى النَدى ** وَشُكرٌ عَلى الشُكرِ الَّذي وَهَبوا بَعدُ

- شكرُ المانحينَ الأجواد ، والباذلين الأيسار ، من مكارمِ الأخلاق ، وهذا من روائعِ أبيات الشكر، لمن جازيته شعرًا أو أحببتَ إثابته بالنطق المعسول ، والأنسام الأدبية ، وفي الحديث :(لا يشكر الله من لا يشكر الناس). فلقد شكرتهم على فضلهم، وشكرتهم على ثنائهم بقبول الفضل والهبات...!

- والثاني يدلُّ على طيبِ معدنهم وحسن نيتهم في العطاء ، بحيث يفرحون بقبول جودهم وعطائهم ، وتنشرح صدورُهم لذلك، وهي من أسباب انشراح الصدر ، واندفاع الغم .

- وفي شكرنا للآخرين ترسيخٌ لهذه المعاني وحفظٌ للجميل، وإشاعة لمثل تلك الأخلاق الفاضلة، وتعميقُ التواد والمحبة بينهم، لا سيما وذلك من صميم ديننا، وقد جاء الحضُّ على شكر صانعي المعروف ، ومُسدي الإحسان ، والدعاء لهم بأبلغ عبارات الثناء ، واللهُ الموفق.

١٧/ فضلُ التجربة :

إِذا كُنتَ في شَكٍّ مِنَ السَيفِ فابْلُهُ ** فَإِمّا تُنَفّيهِ وَإِمّا تُعِدُّهُ

- لا يُعرفُ الناسُ وصدقُها ومهارتها إلا بالتجارب والاختبار ، وكذلك السيوف وآلات الحرب لا تُستجادُ إلا بخوضِ الغمار، وتجربة الفرسان ، وهذا يكشف لك معادنَها وأصالتها ، وحذقَ مدعيها وإتقانهم ، ولذلك قال بعدها :

وَما الصارِمُ الهِندِيُّ إِلّا كَغَيرِهِ... إِذا لَم يُفارِقهُ النِجادُ وَغِمدُهُ...! أي الفحص والاختبار . وقبله قال : فكن في اصطناعي محسنًا كمجرِّبٍ ... يَبِنْ لك تقريبُ الجواد وشدُّهُ...! والمعنى : جرّبني في اصطناعك إياي ليتبين لك أني موضع للثقة والإجادة، فإن بالتجارب يعرفُ الفرس وأنواعُ جريه من التقريب والشد والعدو .

- وغالبًا ما تكون التجاربُ كاشفةً لكل غامضٍ وغريب ومبهم، فهي أكبرُ برهان، وأعظم وثيقة وبينة على الدعوى والإثبات .. كما قيل : والدعاوى ما لم يُقيموا عليها.. بيناتٍ أصحابها أدعياءُ..! وكذلك يقول هي السيوف الهندية لا تعرف شدتها ومضاؤها إلا بالتجربة والضربِ والمشاركة..!
- وشِبهها الرجالُ تعرفُ بالتجربة، وتستوثقُ بالمشاركة والفحص، فجربني وغيري لتعرفَ صدقنا ومهارتنا فيما عُهد إلينا ، وأننا أهلٌ للتكليف ، ومحل الثقة والإتقان . وفي التجريب معرفةٌ وتدريب وكشفٌ وتأكيد ، أو نفي وتهذيب، وحفظ للوقت وتجويد ، فإما تمدُّ في عملها، أو تستخلف مكانها ، والسلام .

١٨/ مقارعة الآفات:

تَمَرَّستُ بِالآفاتِ حَتّى تَرَكتُها ** تَقولُ أَماتَ المَوتُ أَم ذُعِرَ الذُعرُ

- في الدنيا آفاتٌ ونوائب ، ولا نجاةَ منها إلا بالصبر والمقارعة ، واستدامة الذكر والتوكل، وهو من شدته المتناهية لم يعد يبالي بها، لأنه هزمها إلى درجة أنها قالت إنّ الموتَ لم يصبه مبالغة، أو أن المخاوفَ المتوقعة باتت ترهبه وتخاف منه، بسبب إقدامه وكثرة مراسه ، حتى قال بعدها : وَأَقدَمتُ إِقدامَ الأَتِيِّ كَأَنَّ لي... سِوى مُهجَتي أَو كانَ لي عِندَها وِترُ...! والمعنى : أقدمتُ على الشدائد والأهوال إقدام السيل الثائر الذي لا يرده شيء، حتى كأن لي

سوى نفسي نفسًا أخرى بديلة ، أو كأن لي ثأرًا عند نفسي فأنا أريد إهلاكها والخلاص منها .

- وهذا معنىً مطروقٌ في شعره بكثرة ، يدل على علو همته ، ومواجهته رزايا الحياةِ ، واحتماله لشدائدها إلى درجة الاستهانة بها والتمرس البليغ .

- وهذا الشعورُ إذا نبتَ في قلب الشاب وصيّره في طاعة الله ، والتماس المعالي، نفع وانتفعَ ، وحصّل مغانمَ وفيرة ، وتجاوز المشاقَ بسرورٍ وانشراح ..! وليت شبابنا ينتفعون بأشعار علو الهمة ، التي تجعل منهم أُباةً فاعلين، وذوي إقدامٍ شامخين ، وفي المعالي مسارعين (وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنة..) سورة آل عمران.

١٩/ شخصيات مكتملة :

دَعاني إلَيكَ العِلمُ والحِلمُ والحِجَى ** وهذا الكلامُ النّظمُ والنّائلُ النّثرُ

- يجمّلُ اللهُ بعضَ الشخصيات العلمية أو الوجيهة بصفات مختلفة ، كهذا الممدوح في حس الشاعر ، فأطلق عليه هذه المدائح ، وأن ما تحمله من صفات علية، تحفز كل ناظر إليها إلى كتابة ما يكتب من الشعر الجميل ، والمديح الرطيب...! علاوة الى سخاء نفسك ، ونولك الفسيح، الذي تعطي فيه بلا حسبانٍ ، وتجود بلا اضطراب..!
- وما أجملَ اجتماع هذه الصفات دينًا ودنيا ، في شخصية تفردت علمًا وعقلا، وزان منها كلُّ كلام وموقف وثمرة ..

وقال بعدها :

وَما قُلتُ مِن شِعرٍ تَكادُ بُيوتُه ** إِذا كُتِبَت يَبيَضُّ مِن نورِها الحِبرُ

كَأَنَّ المَعاني في فَصاحَةِ لَفظِها ** نُجومُ الثُرَيّا أَو خَلائِقُكَ الزُهرُ

- فما يُكتبُ من شعر هنا في مقامكم ، حلوُ المعاني فصيح الألفاظ ، قد استنارت من توهجها الساطع كالنجوم ، أو أنها بسبب ما انطوى داخلها من أخلاقك المزهرة ، وشمائلك المبهرة ، والسلام .

٢٠/ الجسم الكاشف :

أَمَرَ الفُؤادُ لِسانَهُ وَجُفونَهُ ** فَكَتَمنَهُ وَكَفى بِجِسمِكَ مُخبِرا

- غالبا ما يكشفُ الجسمُ حالَ صاحبه من التعب ومغبة الهوى والحرقات ، فالقلب كملك لقيادة الجسم ، يُفيضُ أوامره على اللسان ، فلا تعبيرٌ شائق ، وعلى الجفونِ فلا دمعٌ نازل، ويحاول جهدَه الكتمان ، ولكن نحولُ الجسم وتغيّره تفضح ذلك كله، وتكشف أسرارَ الهوى المكنون ..!

- وقسْ على ذلك ، كلَّ من كتم أمراً وتهمَّم به، فجسمه كاشف، وحركاته بادية...(وكفى بجسمك مخبرًا) فأينَ ستذهب عنا ونحن نشاهدُ جسمَك ، ونطالع تصرفاتك كما قال في مطلع القصيدة :

بادٍ هَواكَ صَبَرتَ أَم لَم تَصبِرا ** وَبُكاكَ إِن لَم يَجرِ دَمعُكَ أَو جَرى

- فالهوى بادٍ، والقضيةُ مكشوفة، والموضوع منتشر ، فلم تخبئ علينا، أو تحاول الفرار والتكتم... وقد قال بعض السلف قبلنا : (ما أسرَّ أحد سريرة إلا أظهرها الله- عز وجل- على صفحات وجهه وفلتات لسانه) .
- فإنْ لم يُفلت اللسانُ فلتات معينة ، شعَّ بها الجسمُ الناحل، والحركات الغريبة، والنظرات القلقة، فحدثت عما في الداخل، ونطقت بمكتوم البواطن والخفيات ، والله المستعان.

٢١/ حسانُ المعالي:

شَغَلَتْ قَلْبَهُ حِسانُ المَعالي ** عَنْ حِسانِ الوُجوهِ والأعجازِ

- للمعالي وجوهٌ حسنة ، وهيئات نضِرة تحملُ على الطلب والجد إليها ، وإنما يتفكرُ في ذلك أربابُ الهمم، وحمّالو العزائم ، فهم يَهوونها أشدَّ من الهوى وحسان النساء ، اللواتي يصرعنَ الألباب ، ويخطفنَ القلوب .
- والقلبُ إذا شُغل بالأمور الجادة لم يلتفت إلى سواها ، وعاش رفيعًا عزيزًا ، قد شمخَ طرْفه، وعلت روحه ، وحقق إنجازات مختلفة على مستوى الذات والعمل والأهل..
- وأما إذا تلهّى بالحسان والغيد ، فقد بدد زمنه، وأتعب قلبه ، وعاش هيمان كسلان، يمزقه الهوى من كل مكان ..! ولا

منفذَ حينها لإنجاز أو إثمار أو ابتكار ، لأنَّ فتنتهن شديدة ، وهواهنّ ماحق، وقد صوره الشاعر في غير موضع ، كقوله :

مِمّا أَضَرَّ بِأَهلِ العِشقِ أَنَّهُمُ ** هَوُوا وَما عَرَفوا الدُنيا وَما فَطِنوا
تَفنى عُيونُهُمُ دَمعًا وَأَنفُسُهُم ** في إِثرِ كُلِّ قَبيحٍ وَجهُهُ حَسَنُ

- واذا كان عشقًا محرمًا، وهوى مذمومًا ، فيا خيبةَ الورطة، ويا بؤسَ الحال، لأنه شرَك من وقع فيه هلك ، وقد صح قوله صلى الله عليه وسلم : (فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ). والآن تتسعُ الفتنة باتساع الطفرة التقنية، وتزيد من الفتنة بهن في كل مجالات الحياة صورًا ودعاية وتمثيلًا واستهلاكًا ، لتقضيَ على ملايين من الناس، فتنحط هممهم، والله المستعان .

٢٢/ الشكلِ المصدق :

إنّ السّلاحَ جَميعُ النّاسِ تَحْمِلُهُ ** وَلَيسَ كلُّ ذواتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ

- ثمةَ شكلٌ وثمة واقع ، وحقيقةٌ ومجاز ، ومظاهرٌ ومخابر، وأقوالٌ تصدقها أفعال ...! وتخلفُ الصنو عن أخيه ، يكذّبه في الواقع الاجتماعي.. وكذلك الأسلحة هي جميلةٌ ومفخرة، وفروسية ومَشجعة ، ولكنْ لا يحملها بحق إلا فرسانها وحذاقها...إنَّ السلاح جميع الناس تحمله...
- حتى الجبانُ والخوّار يتزيا به، ويُلبسُ في المناسبات والأعياد ، وليس دليلًا على الشجاعة والبطولة ، وليس كل حيوان له مخالب سبعٌ مفترس.. فالحذر الحذر..!

- لأنَّ بعـضَ هـذه المقامـات والمواقـف ، يتمثلهـا بعضُـهم وليس هو من أهلها ، وهـو درس في التثبـت وأخـذِ الحيطة ، فلا تغرنّكم المظاهر ، ولا تَفتّننكم الأشكال ..! وقد بِتنا في عصـر يغلـبُ شـكلُه على مضـمونه، وظاهرُه علـى باطنـه ، وانتحاله على حقيقته ، ولذلك قال قبلـه : فَقَـدْ يُظَـنّ شُـجاعـًا مَنْ بِهِ خَرَقٌ.. وَقَدْ يُظَنّ جَبَانـًا مَنْ بِـهِ زَمَـعُ.. ولـذلك التجربـةُ والاختبار هي المعوَّلُ كما تقدم في معنى مشابه، والسلام .

٢٣/ النفوسُ السّخية :

إذا عُرِضَتْ حَاجٌ إلَيْهِ فَنَفْسُهُ ** إلى نَفْسِهِ فِيها شَفيعٌ مُشَفَّعُ

- مِنْ كرمِهِ السيال ، وجودِهِ الرقراق لا يكاد يردُّ سائلاً ، أو طالب حاجة ، أو صاحب كربة ، فنفسُه الطيبة تحمله على الإجابة ، وما يحمله من صفات الحياء والشهامة ينجذب للمعروف مباشرةً، فهو لا يحب إلا الإكرام، ولا يفيضُ إلا محاسنَ الصفات. !

- حتى إن نفسَه المكنونة لتدفعه دفعًا لطيبها، أو لحيائها وكراهتها الاعتذار ، وهكذا كانت صفة رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يرد سائلاً قط، وما عُرفت عنه (لا) قط .. فكثرة الحوائج عليه لا تكرهه، ولا تُسخطه على السائلين ،

بل يُحبُّ ذلك وينشط له، ففيه سرور وانشراح ، وثواب وارتفاع ، فاليدُ العليا خير من اليد السفلى ..!

- فتقوم نفسُه شفيعةً إلى نفسه لتدفعها ، وتحملها على الجود والعطاء ، وتلك نفوسٌ زكية ، قد تعشّقت البدل ، وتزكت بالرضا والقناعة ، وحب الخيرِ للآخرين ، حتى ضاقت مِن الاكتناز والدنيا والمفاخرة بها .. بل الفخرُ الحقيقي ، والتجارة الرابحة في العطاء واحتساب ذلك في الدار الآخرة (ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ) واللهُ الموفق.

٢٤/ مطاعةُ اللحظ:

مُطاعَةُ اللّحْظِ في الألحاظِ مالِكَةٌ ** لمُقْلَتَيْها عَظيمُ المُلْكِ في المُقَلِ

- كما أنّ هناكَ ألحاظًا جذابة، ونساء فتانة ، فثمةَ أشياءُ وقضايا، تجعلها مقدمةً في حياتك ، وفي عالم الكتب فواتنُ ومحاسن وجواهر، لا تملك لها إلا الإصغاء والانقياد ، والإقبال عليها بجديةٍ وانسيابية ، لما حوته من رياحين الجمال، وأفانين الجلال، وألحاظ الكمال، التي تأسركَ بحُسنها وطيبها ، ومن ذلكَ كتاب (زاد المعاد) لابن القيم رحمه الله ، يُعدُّ كالجوهرةِ الحسناء، والفاتنة الغيداء ، يسحرُ من أوله إلى آخره، ويشدُّك لقراءتهِ كله، أو المبحث المراد منه..!

- فلم يملكْ نفسَه بعضُهم وهو يُسأل عنه ويطريـه، ويطيـر بـه أن يقول : مُطاعَةُ اللّحْظِ في الألحاظِ مالِكَةٌ... لمُقْلَتَيْها عَظيمُ المُلْـكِ في المُقَـلِ. ! فلـه عظـيم الملـك في الكتـب، وجـوهرُ السيادة في الأسفار ، ومقام الصدارة في الفوائد والفرائد .
- فلغتُه جميلةٌ، ومسائله رائعة ، وأسلوبُه آسر، وعقلُـه ثاقـب، ونقاشاته مقنعة، وتشعر كأنك تقرأ في كتابٍ أدبي ميسـور ، أو في سـفرٍ روحـاني بهـيج .. وقـل مثـل ذلـك في كتـب كثيـرة .. أبهرتكَ بألحاظها ونظراتها أو بثمارها ، كـالفتح والرسـالة أو الموافقـات والمغنـي أو المجمـوع .. فـلا تـزال ذات روضٍ وخيال ، وما فيها من رحيقٍ وسَلسال ، وماء زلال، والسلام .

٢٥/ تقديرُ أحباءِ الأحبة:

وَإنّي وَإنْ كانَ الدّفينُ حَبيبَهُ ** حَبيبٌ إلى قَلْبي حَبيبُ حَبيبي

- هذا مِن جميلِ التقدير والتعزية، وتحمّلِ الأسى ، جراءَ مصابِ أحبةِ أحبتِنا ، لأننا نقدِّرهم ونُجِلهم ، ونتهمم لمصابهم ، وإن كنا قد لا نعرفُ أولئك الأصدقاء..! لكن بتأثرهم، نتحسس مشاعرهم ونشاطرهم الهمَّ والحزن ..
- فأنا قد لا أعرف ذلك الفقيد، لكن لكون صديقنا تألم فيه، فنحن نتألم ونأسى لذلك الفقد، ونزف التعازي ، ونذرفُ الدموع تصبيرا وتضامنا معه ..

- وهذا وإنْ كان فيه مبالغة وقد يستغربُ ولكنه أدبٌ جميل، وخلـقٌ رفيـع ، يسـهم في تخفيـف المصـاب ، وتقريـب الأصدقاء، ومضاعفة روابطهم وهمومهم .
- وبعضُ الأوفياء لا يعزي أو يحزنُ فحسب، بل يذهب الى المقبـرة ويشـارك في الخدمـة والمواسـاة وتكثيـر السـواد ، فيكتسبُ شرفًا وثوابًا ، ويحرزُ مكانةً وتقديرًا...! وإن كان الحبيبُ قد قدّر ذلك ، فإن تقديرَ أهل الحبيب الفقيد أعظم وأشـدُّ ، لأنـه مزيـد مـن المواسـاة ، وتكثيـر للمحبـين والمعزين...والسلام .

٢٦/ تعدّدُ المحاسن :

فيَوْمـًا بخَيْلٍ تَطْرُدُ الرّومَ عنهُمُ ** وَيَوْمـًا بجُـودٍ تطـرُدُ الفقـرَ وَالجَـدْبَا

- كذا هي بعضُ النفوس المكتملة جهدًا وفضـلًا ، محاسنها متعددة، ومهامها مختلفة والقادة والعظماء ، وبعض الأشياخ والأفذاذ... تلقاهم في كل وادٍ مشاعل، وفي كل جهةٍ يضربون بسهم، فمِنْ دفعِ عدو إلى جودٍ وسخاء، ومن إصلاح وتوجيه الى تطوع ونفع، فهم كالآلة الدائبة عملا ، وعطاءً ، وإنتاجا..
- وهـذا متصـوَّرٌ في أعـالي الهمـم، ومتّقـدي العزمـات، الـذين يتفـانونَ في العمـلِ وحُبـه، وفي النفـع وطلبـه، وفي الإحسـان وثمراتِه ... كما قال هنا في طـرده الـرومَ تـارةً...وتـارةً يطـرد الفقر والجدبا...

٢٧/ الموت الغالب :

أَلا إِنَّما كانَت وَفاةُ مُحَمَّدٍ ** دَليلاً عَلى أَن لَيسَ لِلَّهِ غالِبُ

- غلبَ الموتُ العظماء ، وأهلكَ اللذات ، وقضى على الأمنيات ، وهو من أمرِ الله الغالب لكل لذةٍ ومجدٍ وتفاخر...(كلُّ نفس ذائقةُ الموت) سورة آل عمران . وهو معنى تأكيدي لسنة التعزية، من عزَّ عليه الفراق، وشقّ عليه البون، ولم يفقه الحياةَ وسرها وتقلباتها ... وأن الموت فيها دليل على وهائها ونهايتها، فلا تتعلق بها كثيرًا...!

- ولذلك من روائعِ حِكم الحسن البصري رحمه اللهُ : (فضحَ الموتُ الدنيا ، فلم يترك فيها لذي لبٍّ فرحًا). وكيف تفرح فيها وأنت تخشاه كلَّ لحظة ، وتفكر فيه كل

ساعة، وتتذكره عند كل حادثٍ ومقبرة.. فكن دائما فيه على استذكار ، وخذ له قدرا من الاستعداد . (وخذْ من حياتك لموتك).

- وغلبةُ الموت دليل على أنَّ الله غالب، وحكمه نافذ، وأنه حي قيوم لا يموت، والإنسُ والجن يموتون ، قال تعالى : (الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم) سورة البقرة . وقال : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا) سورة الفرقان . والله الموفق .

٢٨/ الخطوبُ الناشبة:

كَيفَ الرّجاءُ مِنَ الخُطوبِ تخَلُّصًا ** مِنْ بَعْدِ ما أنْشَبنَ فيّ مَخالِبَا

• هذه صورةٌ كاشفة وجلية لوضع الدنيا، وتراكمِها أحيانًا على بعض الناس لدرجة أنَّ خطوبَها قد أنشبَت مخالب، ودقّت مقارع ، فلا يكاد الانفكاك منها ..! فما يخرجُ من بليةٍ إلا زارته أخرى ، ولايحُل عقدةَ رزية ، حتى توافيه جديدةٌ عاتية.... كما قال في موضع آخر : رَماني الدَهرُ بِالأَرزاءِ حَتّى... فُؤادي في غِشاءٍ مِن نِبالِ... ومع تراكمها المتلاحق صارت تضرب في بعضها.... فَصِرتُ إِذا أَصابَتني سِهامٌ.. تَكَسَّرَتِ النِصالُ عَلى النِصالِ ..

- وهذا من جميل تصاويره ، ومرةً قال : مَصائِبُ شَتّى جُمِّعَت في مُصيبَةٍ... وَلَم يَكفِها حَتّى قَفَتها مَصائِبُ..! فلقد صرتُ هدفًا لهذه الأحداث والمصائب ، وقد نشبت فيَّ بطريقة شديدة ، ولكنه غالبا ما يظهر التجلد والتصبر، وعلى الهمةِ ، وأنّ هذه البلايا لا تستهدف إلا أفاضل الناس المشهورين ، ولذلك قال في قصيدة المشرفية المحمودة : وَهانَ فَما أُبالي بِالرَزايا... لِأَنّي ما انتفعتُ بِأَن أُبالي..!

- وهذا أحسنُ علاج للرزايا، تجاهلها والتغافل عنها، ومواجهة كل ذلك في الحس الإيماني بالذكر والصبر، واحتمال القدر حلوه ومره.. (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً) سورة الأحزاب.

٢٩/ الكريمُ المجرِّب :

هذا الذي أفنى النُّضارَ مَواهِبًا ** وعِداهُ قَتْلاً والزّمانَ تَجَارِبَا

- الأبطالُ هم كرامُ الناس وسادةُ تجاربها، الذين عُرفوا في المواقع والمحافل ، وشوهدوا في الأزمات والمقاصد ، بحيث يملأ أحدُهم مكانه، ويُنفذُ مبادرته ، ويفقه طرائقه ، فلا هو للمال كانز، ولا للزمان بغافل، بل باذلٌ حاذقٌ، قد التفَّ بالأخطار من كلِّ شاهق...

- ولا يُرتجى ذلكَ إلا مع علو همة ، ومضَاءِ عزيمة، واندحارِ غفلةٍ ومتعة ، بحيث لا يُبالي بمصيره، ولا يتخوف على ماله.. والمرادُ بالنُّضار الذهب، أي بدّده في الهبات وإكرامِ

الناس ، وقضاء الحاجات، ثم هو يعرفُ أين يضعه لأنه قد خبَرَ الزمان ، وفتلَ تجاربه . . .

- وليس في المال تبديدٌ ولا في الروح تنكيدٌ ، لأنّ المال في مواضعه رفعةً وشرفًا ، والنفسَ في عزتها مجدًا ودفاعًا ، كما قال زهير : ومن لم يُذدْ عن حوضه بسلاحه يُهدّم ..! وقال أيضًا: مَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ... عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ..! والمكارمُ إنما تؤتى من بوابة الفداء والسخاء، وهما أعظمُ ما اتصفَ به العظماء عبر التاريخ ، شجاعةٌ قاطعة، وسخاءٌ فياض ومن خلالهما تتكونُ التجارب، وتنضجُ الشخصيات ، والسلام .

٣٠/ الحياة الزائلة :

كَثيرُ حَيَاةِ المَرْءِ مِثْلُ قَليلِهَا ** يَزولُ وباقي عَيْشِهِ مِثْلُ ذاهِبِ

- شجعانُ الناسِ لا يُبالونَ بأعمار حياتهم ، فسيّانَ عندهم طولُها أو قِصرُها ، تنعمُها أو تقشفها ، فالمهم لهم حياةُ الشرف والشممِ، وعيشُ العزة والترفع..! لأنهم يأنفونَ الذلة والتبعية ، أو العيش في رغدٍ مهين، أو نعيمٍ ذليل، كما قال عنترة قديماً : لا تَسقِني ماءَ الحَياةِ بِذِلَّةٍ... بَل فَاسقِني بِالعِزِّ كَأسَ الحَنظَلِ..
- وهو بهذا المعنى يحملُ الناس على الشجاعة والإقدام ، والتفكير الجدي في البأس والاستبسال، ورفض كل صور الذلة والخسران ..! لأنَّ حتميةَ الحياة النهاية، سواء حسُنت

أو ساءت ، فلمَ التهمم بحسنها والخلود لأجلها ...؟!

وكذلك باقي عيشه مثل ذاهب...! فحتى المتبقي منها

سيلحق بصنوه، وتندثر كل المجموعات والمدخرات ، ولَن

ينفعكَ إلا الذكرُ الحسن، والحياة الأبية (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ

(٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ) سورة الرحمن

- فعشْ باعتزاز، أو فاهلِك بشرف، وقد تكرر معه هذا المعنى معه كثيرًا ، ودائما ما يقع في شعر الفرسان كما تقدم عَنْ عنترة ، وكذلك عالي الهمة. وله في المشهور :

عِشْ عزيزاً أَوْ مُتْ وَأنتَ كَرِيمٌ ** بَينَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ

لا كَما قد حَييتَ غيرَ حَميدٍ ** وإذا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقيدِ

- وكمـا تعـاشُ بشـرفِ لنَعِشـها بهـدف، ووعـي رسـالتها ومقصـوده (لِيَبْلُـوَكُمْ أَيُّكُـمْ أَحْسَـنُ) (وَمَـا خَلَقْـتُ الجِـنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) . وذلك من أسـمى الشـرفِ المحـروز ، والمجد الميمون . والسلام .

٣١/ الهممُ المعذِّبة :

لحَى الله ذي الدّنْيا مُناخـًا لراكبٍ ** فكُـلُّ بَعيـدِ الهَـمّ فيهَـا مُعَـذَّبُ

• معناه ، مع أنه يمدحُ عالي الهمة، وبعيد الطرف، إلا أنه يؤكدُ تعبَ الطموح وتعذيبَ الشواف، المتطلع إلى المعالي والنفائس ، فكأنه يقول : بعيدُ الهم، منهكٌ في الطريق، معرقلٌ في المسار ، حوله أعداء ، ويحوطه حساد، ولا يصل إلا مع شقاء ونكد..! فالدنيا بهذا المعنى مقبَّحة ملعونة، كما قال : لحى الله ذي الدنيا مناخًا لراكب..! فهي ليست بمنزلٍ مستطاب، ولا مستراحٍ رطْب...! لأن الجادين فيها تعابى سِراع..

- ولذلك فإنَّ أصحاب الهمم العالية في قمة السعادة، ولا يُعذّبون ولا يتنكدون بل يصيبون أهدافَهم، ويحقّقون نجاحاتهم ، ولكنه ربما انتقد همَمَ الدنيا والتقاتل الدنيوي المعروف، أو الهمم التي يكثر فيها الحساد من نحو ما كان يسعى هو إليه من حب الدنيا وطلبِ السيادة ، واختلافه مع الشعراء ، فلم يؤتَ له ذلك...

- وإلا فإنَّ عاليَ الهمة ، المتقي لله، يكثر أحبابه ، ويعظمُ أنصارُه ، ولا يلقى من العداوات إلا الشيءَ اليسير، حيث يكتب اللهُ له القبول.. إلا إذا جاراهم في دنياهم، ونازعهم في مراداتهم ، فحينئذ يلزمه الصبرُ وتحمل مرارات العذاب ، المعنيّ هنا ... أو ربما قصد التهمم كما في حديث (السفر

قطعة من العذاب) قيل التهمم وكثرة التفكير ، لا أنه عذاب حقيقي...

- ومن فضلِ الأعداء والخصوم ، حمل الجادينَ المَهرة ، على المواصلة والاحتمال ، واستطعام لذائذ الطريق، كما قال القائل: عداتي لهم فضلٌ علي ومنةٌ... فلا أبعدَ الرحمنُ عنّي الأعاديا... فلولا المنافقون ما ظهرَ الإيمان، ولولا الشدائد لم يوجد الأبطال ، ولذلك هو يُعالَج ذلك بالصبر والتحمل الضاري، كما قال بعدها: وَبي ما يَذودُ الشّعرَ عني أقَلُّهُ.. وَلَكِنّ قَلبي يا ابنَةَ القَوْمِ قُلَّبُ ..! أي يُحسن تقليب الأمور والتعامل معها، والسلام ..!

٣٢/ العشقُ القاتل :

وَمَا العِشْقُ إلاّ غِرّةٌ وَطَمَاعَةٌ ** يُعَـرّضُ قَلْـبٌ نَفْسَـهُ فَيُصَـابُ

- هذه نصيحةٌ جُلّى لمنْ سرَّح طرفَه في الغـواني بـلا حسـبانٍ، وباع ضميرَه بـلا اتعـاظ ، وأبـاحَ لهـواه كـل جميـلٍ محـرَّم، أو جذابٍ مـذمَّم...! ولـذلك تنتهـي حالُـه إلـى العشـق المحـرم الـذي يصـيبه، ثـم يَهريـه ويعذبـه ، لأنَّ غالبَـه صـورٌ ومشـاهد ليسـت منـه دانيـة، ولا يسـتطيع نيلهـا أو طلبهـا..! وهـو معنـى مكـرر في حـس الشـاعر وذهنـه، وقـد عاينـه واصـطلى بحـره وجمره، كما تقدم ..

- واللطيـفُ هنـا قولـه : غِـرةٌ، أي لحظـة بـلا تفكيـر ، ونظـرة سـريعة، وقـد كـان في زمـانهم طبيعيـا مباشـرًا ، والآن بـات

إلكترونيًا وفضائيًا مصورا ، يسرح أحدهم طرفه، فيشتهي ويتمنى، فيزداد ألمًا وعذابًا ، كما قال بعضهم :

وكنتَ متى أرسلتَ طرفَك رائدا ** لقلبك يوما أتعبَتك المناظرُ

رأيتَ الذي لا كلَّه أنت قادرٌ ** عليه ولا عن بعضِهِ أنت صابرُ

- ولذلك كان عتابًا جميلا لمن لا يردعُه ذكرٌ ولا شرع، أو ينهاهُ عقلٌ ولا وعي ، أنْ يقال له : تأمل حال العشاق قبلك، لما أطلقوا نظراتهم بلا ترقب، وسرحوا أعينهم بلا حيطة ، أودت بهم، وجرت عليهم المهالك ..! وتأمل الصلة المحذر منها في القرآن.. (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) ولو لم تكن ثمة علاقة خطيرة بين النظر والفرج، ما والى بينهما ، وقد سُئِلَ عليه الصلاة والسلام عن

أكثر ما يُدخلُ الناس النارَ فقال: الأجوفانِ : الفـرجُ والفـمُ...

واللهُ الموفق .

٣٣/ الحنينُ المُعوق :

أحِنُّ إلى أهْلي وَأهْوَى لِقَاءَهُمْ ** وَأينَ مِنَ المُشْتَاقِ عَنقاءُ مُغرِبُ

- من طبيعةِ الحياة أنها تواصلٌ وتعايش ، لابد لك فيها من أهلينَ وأحباب ، وأصدقاءَ وجيران، ولا يمكن لك التباعدُ الصحراوي، ولا الهجرة القَفرية... وهذا من أسباب العيش والبقاء ، وسلوان القلب وراحته...
- وفيها زواجٌ وأبناء وأهلٌ وعشيرة ، لهم حقوق، وبهم مفخرةٌ وتعزز، ولكن أحيانًا تحولُ صروف أو معوقات، سببُها تقلُّب الزمان ، وكثرةُ الترحال، ومضايقةُ الحُساد، وانشغال المقدام بهم والرد عليهم، وكذلك ضربه في الأرض مع القادة قتالاً واستبسالاً، لا سيما وهو جليسهم ونديمهم..

- ولمـا استعسـرت الحيـاة ، وطـالَ البعـاد ، وتكـاثرت عليـه الغمومُ والعوائق ، أحسَّ بفقـدانهم، وصـعوبة التلاقـي، حتـى إنه ليستحيلُ ذلك في تصوره من جراء ما يشـاهد ويـذوق مـن المتاعـب ، ولـذلك قـال...: وأيـن مِـن المشـتاقِ عنقـاءُ مغربُ... أي وهم كعنقاء مغرب في تعذر قـربهم، واسـتحالة الوصول إليهم ، وعنقاء مغرب حيـوانٌ أسـطوري يضـرب بـه المثـلُ في ذهـاب الأشـياء وضـياعها ، وأننـي بـرغم الشـوق الشديد، والحنان المتدفق، إلا أنَّ حالي مع الأحبة كـالمتعلق كعنقاء مغرب.. والسلام .

٣٤/ لسانُ الحال :

وَفي النّفسِ حاجاتٌ وَفيكَ فَطَانَةٌ ** سُكُوتي بَيَانٌ عِنْدَها وَخِطابُ

- ثمةَ مواقفُ لا تحتاجُ من اللسان وصفُها ولا تعبيرها، بل حالُ النفس ، وطبيعةُ التصرف تكشفها ..سكوتي بيان عندها وخطابُ..! وما لايُدرَكُ باللسان قد يدرك بالحالِ والهيئة وما يسمى بلغة الجسد ، ومواضع يستحي فيها المرء، أو يتهيب جليسه ، لكن حاله وشكله يجلّيها للمجالس الذكي...
- وذلك صالحٌ ومُجدٍ مع الوعاة الفطناء، فالحرُّ تكفيه الإشارة ، والإشارة شكلٌ محدد، أو تعابيرُ جسمية واضحة، أو تصرفات مفهومة ، لأن اللسانَ عجز عن إيضاحها ، فلم تبقَ إلا صورةُ الوجه واللحم والدم... وقد يكون ذلكَ أبلغَ

في إيصال الرسالة كما صنع رسول الله عليه الصلاةُ والسلام في "الحديبية" أمرهم ابتداءً بالتحلل فلم يستجيبوا، فنصحته أم سلمة رضي الله عنه، بالفعل ، فنحرَ وحلق ، فهبّوا متزاحمين على ذلك .

- وأما معاشرُ الحمقى والمتغابين فهؤلاء لا يُسعفك معهم إلا اللسانُ الصريح ، والكلامُ الصبيح، بحيث تستجلبُ حقوقَك ، وتقضي شؤونَك بكل وضوحٍ واهتمام ، فلا مدارةَ معهم، ولا إبهامَ تجاههم ، والله المستعان .
- وينفع لسانُ الحالِ ولغة الجسد في مواقف دعوية واجتماعية محددة ، درءا لمشكلة ، أو احتواءً لشخصية، أو حكمةً وتلطفًا، واللهُ الموفق .

٣٥/ الموتُ عقلاً:

نحنُ بَنُو المَوْتَى فَمَا بالُنَا ** نَعَافُ مَا لا بُدّ من شُرْبِهِ

- هذا دليلٌ عقلي على حتمية الموت، فإذا لم تقع منك الآياتُ موقعَها، ولا الأحاديثُ أصابت هدفَها ، ولا الأحداثُ أثّرت أثرها ، فهلمَّ متأملًا ، آباءك وأجدادك، كيف انقضوا وتصرموا، وانتهت ثرواتهم إليكم، تنتفعون بها وتنهلون منها...وكذلك أنتَ ستغادر الدنيا، ويعبث بنوك بمالك وتركتك...! فلِمَ تعافُ ما شربه الآخرون قبلك..
- فالموتُ كأسٌ وكل الناس شاربه، ومنزلٌ يطؤه الجميع، ومسكنٌ تؤول إليه كل الخلائق (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ) سورة آل عمران. فإلى أين الفرار، وأين الملجأ والمعاد... لا

سيما ونحن في زمان احتوانا ، وربينا فيه ، وكذا هي سنته، وسننتهي إلى ترابه وثراه، ولذلك قال بعده : تَبْخَلُ أيْدينَا بِأرْوَاحِنَا... على زَمَانٍ هيَ من كَسْبِهِ.. فلِم كراهيةُ ذلك الشراب ، ونحن أبناء أهله وزمانه وسننه..

- ولعل وعيَ هذه الصورةِ العقلية المحسوسة ، يجعلنا نعدُّ للموتِ عُدتَه، ونأخذ للقاء أُهبتَه ، بحسن العمل ، وصالحات مبرورات ، ومسارعة واجتهاد، وتفكر في ذلك المآل ...(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ) سورة آل عمران.

٣٦/ الثقة بالنفس :

وَمَطالِبٍ فيها الهَلاكُ أَتَيتُها ** ثَبتَ الجَنانِ كَأَنَّني لَم آتِها

- من فرطِ شجاعتهِ وثقته وهدوئه، لا يرتجفُ في النوائب والأحداث ، بل يواجهها بكل ثبات واطمئنان ..! كأنه لم يأتها. بحيث يُشبهُ دخوله متنزها أو حديقة... ثبت الجَنان كأنني لم آتِها ...
- والسببُ قوتُه واعتقاده ما يصنع وما يأتي ، ولِمَ الخوف وقد قُدرت المقادير ، وعرفت الأرزاق ، وانحسمت الآجال (رُفعت الأقلامُ وجفّت الصحف). ولن يصيب المرء إلا ما قدره الله وكتبه (قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا). سورة التوبة .

- ومما يقوي القلبَ ويثبته ذكرُ اللهِ تعالى، والتعلمُ من التجارب ، والاستعداد للآخرة ، وعدم الاكتراث بالحوادث، وحب الطموح والظفر ، والانتفاع بسير الجادين والأفذاذ، وأبطال الإسلامِ الذين اتسموا بعلو الهمة، ومضاءِ العزيمة، ومقارعة الأهوال، فقد تركوا عدوهم طعاما شهيًا للحيوانات كما قال بعده : وَمَقانِبٍ بِمَقانِبٍ غادَرتُها...أَقواتَ وَحشٍ كُنَّ مِن أَقواتِها. والمقانب الطائفة من الخيل ...!

- وكلُّ غالي الهمة وعاليها، تهونُ عنده الشدائد، ويكتسبُ القوة والشجاعة ، وسرعة المخاطرة، ما دام يعتقد صحة منهجه، وانتفاعه بذلك الطريق (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) سورة آل عمران . والله الموفق .

٣٧/ همة متدفقة:

فَتًى يَشْتَهي طُولَ البلادِ وَوَقْتُهُ ** تَضِيقُ بِهِ أوْقاتُهُ وَالمَقَاصِدُ

- هذا من روائعِ أبياتِ الهمة لديه، وقليلُ الذيوع، فيقول : إن الممدوح هنا لجلاده العاتي وسعة همته، يتمنى أن تكون البلاد وسيعة جدا، والزمان يتضاعف طوله؛ لأن الأوقات تضيق بما يريد، وما يقصده من البلاد ، يضيق بهمته وجيوشه وضرابه المتنوع ، فهو طامحُ الطرف ، بعيد المنال .
- وهكذا هم عقلاءُ القوم، وأصحاب المقاصد العالية ، ومن له أهداف سامية، تسمو بهم هممهم ، وتتصاعد طموحاتهم ولا يرضون باليسير ، بل يتمنون التحدي ، ولا تخيفهم

الصعوبات ..،! وكلما اتسعت هممهم اتسعت أفراحهم بالسفر والجد والمضاء...

- فهو يصلحُ للاستشهاد في القادة الدؤوبين ، والعلماء المتفننين ، والدعاة الضاربين بكل لون ، والمشاركين بطاقاتهم العجيبة ، في حُسنٍ وإتقان ..! وفي شخصية جوابةٍ منتجة، لا يرهقها مساحة، ولا تضيق من مسافة ، قد ارتدت الجد، وتحلت بالمثابرة ، كما قيل في القادة العظام : لَهُ هِمَمٌ لا مُنتَهى لِكِبارِها...وَهِمَّتُهُ الصُغرى أَجَلُّ مِنَ الدَهرِ...! وفق الله الجميع ، والسلام .

٣٨/ وصالٌ متقطع:

تفَضّلَتِ الأيّامُ بالجَمْعِ بَيْنَنَا ** فلَمّا حَمِدْنَا لم تُدِمْنَا على الحَمدِ

- وهذا من سماتِ الدنيا أنها اجتماعٌ وافتراق ، وصلةٌ وانقطاع، وسعادةٌ وشقاء ، وحلوها لا يدوم، ووصالُها منقطع، وخيرها نافد...! وما أكثرَ ما نجتمع بأحبة أو أقارب ، فلا يدومُ ذلك الوصل، ونؤول بعده إلى التفرق والذهاب في أقطار الأرض لرزق أو عارضٍ أو مرض ...
- وهذا نستفيدُ منه انقطاع الدنيا وتصرمها ، وأنها ليست لنا بدار خلود، ولا منزل ديمومة، بل سريعة الزوالِ ، خفيفة الظلال، كم ذهبت بأقوام ، وخدعت أجيالًا ، وقطعت حبالًا ..! فلا نتعلق بها ، فنكون منها على حذر، ولا نغالي في حبها

والانهماك في ملاذها، وليكن حبُّنا معتدلًا لئلا نتضررَ من خلاله، أو نفقد حلاوته وزينته ..

- ومن رحمةِ الله كثرة الناس في الدنيا ووجود الأصدقاء في كل مكان يحل فيه الفرد.. نعم عزّوا وتراجعوا في سماتهم ومروءتهم ، ولكنك لن تعدمَ أخًا صدوقا ، وخلاً وافيًا ، وربّ أخٍ لك لم تلده أمك ، وربَّ صديقٍ كريم السماحة، يغني عَنْ آلافٍ بلا وقارٍ ولا سماحة ...! والسلام .

٣٩/ همّامٌ تعِب :

وَأتْعَبُ خَلْقِ الله مَنْ زَادَ هَمُّـهُ ❊❊ وَقَصّرَ عَمّا تَشتَهي الـنّفسُ وَجـدُهُ

- كلُّ ذي همةٍ فهو غالبا طمَّاح شغِف، يسيحُ سياحةً متدفقة، ويضـربُ في الآفـاق ، وشـديد الترحـال ، وكثيـر المغـامرات ، ولذلك يحسُّ بالتعب أحيانًا ، ويراه الناس في متاعب ومشـاق ، ولكنه لا يبالي بكثرتها ولا بمعوقاتهـا ، لأنـه مقتنـع بهدفـه ، طامحٌ نظره، مستعلٍ عزمُه، لا يخاف ولا يتردد ...
- ولا يُـدرى هـل مصـدرُ التعـب طريقـه الشـاق، أم همتـه الدائبة.. التي لا تُقعده، ولا تحمله على وضـع العصـا، وتـرك الترحـال والتطـواف . بـل دائمـا في تحـرك ونشـاط، وسـرعة واهتبال، ..!

- ولا ينكـــده التعـــبُ إلا في التعـــب الـــدنيوي والمقاصـــد المتنـافس فيهـا دنيًا وتعاسـةً وتباغضـا، كحظـوظ الـدنيا ، وحب التصدر، والثـراء المـالي، فهـذه متعبـة لكثـرة التحاسـد فيها والتشاحن ، إلى درجة التـربص، وافتعـال الخصـومات ، والله المستعان ، كما قال هـو سـابقًا وقـد تقـدم: لحَـى الله ذي الدّنْيا مُناخـًا لراكـبٍ...فكُـلُّ بَعيـدِ الهَـمّ فيهَـا مُعَـذَّبُ.! والله الموفق .

٤٠/ الاجتهادُ الضال :

وَالأمْـرُ لله رُبّ مجتهـدٍ ** مَـا خــابَ إلاّ لأنّــهُ جَاهِـدُ

- والمعنى لا تغترَّ بمن اجتهادُه شديد، وعملُه وسيع، وطاقته بـارزة ، لأنـه ربمـا يهلكـهُ اجتهـاده ، ويـؤتى مـن جهـة قوتـه، والسـببُ أن الأمـر لله تعـالى ولتقـديره وحكمـه وهـو أحكـم الحـاكمين ... وعليـه قـد يُهـزمُ المجتهـد، ويتعثـرُ المجاهـد، ويسقطُ الجاد، ويحرمُ الصبور ..
- ونظيرُه في نطاق الطاعـات، مجتهـدونَ مفـاليس ، فكـم مـن مجتهـدٍ علـى ضـلالة، ومثـابرٍ في غوايـة، ومبـادر علـى بدعـة ، ودؤوب في رياءٍ وسمعة ، والله المستعان ، قال تعالى :(عاملة ناصبة) أي : قد عملت عملا كثيرا ، ونصبت فيـه ، وصـليت

يوم القيامة نارا حامية . ونظيره قوله تعالى :(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا). سورة الكهف .

- والدرسُ هنا تصحيحُ المسار ، وحسنُ التوكل على اللهِ ، وعدمُ الاغترار بالهمة والجهد، وتنظيم الأمور ، وسؤالُ الله العونَ والتوفيق ، قال بعضهم : إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى ... فأولُّ ما يقضي عليه اجتهادهُ...! ومن الأدعية النبوية الرائقة :(اللَّهُمَّ رحمتَك أرجو فلا تَكِلْني إلى نفسي طَرْفةَ عَينٍ وأصلِحْ لي شأني كُلَّه، لا إلهَ إلَّا أنت). فمهما عظُمت همتُك، وعلا اجتهادُك، فقد تُحرمُ التوفيق ، وجمالَ الوصول. والسلام .

٤١/ تكررُ الأيام:

فَإِنَّ حَظَّكَ مِن تَكرارِها شَرَفٌ ** وَحَظَّ غَيرِكَ مِنها الشَيبُ وَالكِبَرُ

- تكررُ الأيام والدهور مؤلمٌ لكثيرٍ الناس، لأنه يودي بهم إلى الشيب والكِبَر، خلافًا لآخرين نفوسهم متجددة، وخواطرهم متوثبة، ومشاغيلهم عالية، حيث الهمةُ لا تقعدُ ولا تنام، وتحملهم على التحرك والاستزادة والاطلاع المعرفي والحضاري، والقيادي كشخصية الممدوح ...
- ونسمعُ دائما قول بعضهم : الأيام صارت مملة .. وهذه صحيحة في حق النومى وعدم المتجددين والمبادرين... وحتى على مستوى الطاعات، نحن مأمورون بالمسارعة

في الخيـرات ..(وسـارعوا إلـى معفـرة مـن ربكـم وجنـة) .

وهـذا سـرٌّ شـرعي عجيـب ، وهـو يعنـي تجديـدَ الـروح، وإشـعال الهمـة ، وهجـرانَ التكاسـل ، ونبـذ النـوم والغفلـة، وكلهـا معـالم للسـعادة والانشـراح ، والتجـدد الزماني في حياة الإنسان .

- ولذلك أربابُ الهمم العالية، والمـالئون أوقـاتهم بالعمـل والإنتاج ، يستطعمون حلاوةَ العمل والإنجـاز ، ويشـعرون بالحيوية والانشراح... فيكبرُ أحدُهم ويشيخُ، ولكنّ نفسه شابةٌ، لا تـزال سـعيدة متقـدةً، باذلـةً معطاءة .... كمـا قـال بعضـهم :

وإنما اعتاضَ رأسي غيرُ صبغته ** والشّيبُ في الرأس دون الشّيب في الهممِ

- وهو الذي كان يتمثل به أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي رحمه الله ، وكــان عــالي الهمــة، غزيــر الإنتــاج العلمــي ، والله الموفق.

٤٢/ مجدٌ لا حدَّ له :

إِذا تَغَلغَلَ فِكرُ المَرءِ في طَرَفٍ ** من مَجدِهِ غَرِقَت فيهِ خَواطِرُهُ

- من عظمةِ وكثرة مناقبه، أن الصغيرَ منها يستغرقُ الذهن في جمالها وحسنها ، فكيف بكبارها وجواهرها ..؟! وهذا بسبب كثرة محاسنهِ وتضخم روائعه ، وأنه عالي الهمة من النبلاء الأفذاذ ، أو موفقٌ مسعود، قد أتته الدنيا صاغرة ، يتخيرُ منها أطايبها ومآثرها...
- وهذه مبالغةٌ شديدة لهذا الممدوح، ولا تليق إلا بندرة، أخصُّهم وأفضلهم رسولنا الكريم عليه الصلاةُ والسلام، صاحبُ المجدِ الأعظم ، والمنار الأكرم ، فأمجاده متعددة، ومحاسنه فاخرة ، وأفضاله عجيبة، ومعجزاته قاهرة ، فهو

الـذي تغـرق الخلائـقُ في ممادحـه ، كمـا قـال سـابقًا: ليـت المدائح تسـتوفي مناقبـه .. ولـن يسـتطيع أحـدٌ مجاراتـه ، فهـو نعمة الله على عباده، ورحمته النازلة الدفاقة .. (وما أرسـلناك إلا رحمةً للعالمين) . ويشبه ذلـك قولـه: ومـن كثـرةِ الأخبـار عن مكرماتهِ ... يمرُّ له صنفٌ ويأتي له صنفُ ..

- وفي القصيدة مدحٌ مذمومٌ غير مقبول، لا يليق بالبشر، وإنمـا هو في حق رب البشـر تبـارك وتعـالى ، وسـبقَ التنبيـه عليـه في مسامرات أدبية وهو قوله :

يـا مـن ألـوذُ بـه فيمـا أُؤَمِّلُـه ❊❊ ومـن أعـوذُ بـه ممـا أحـاذِرُه

لا يجبرُ الناسُ عظمـًا أنتَ كاسِرُه ❊❊ ولا يهيضُون عظمـًا أنتَ جـابِرُه

- قال الإمام ابن كثير رحمه الله : "وقد بلغني عن شيخنا العلامة أبي العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله – أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة، ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله عز وجل. وأخبرني العلامة شمس الدين بن القيم - رحمه الله - أنه سمع الشيخ يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود". "البداية والنهاية" (١٥/ ٢٧٥).

- وهذا من غلو المداحين وتجاوزاتهم الكاذبة ، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في "شفاء العليل"، ص ٢٤٠: " من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء : أنه يجود ويعطي ويمنح ، فمنها أن يعيذ وينصر ويغيث، فكما يحب أن يلوذ به اللائذون ، يحب أن يعوذ به العائذون. وكمال الملوك أن

يلوذ بهم أولياؤهم ، ويعوذوا بهم ، كما قال أحمد بن حسين الكندي في ممدوحه:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ** ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبرُ الناسُ عظمًا أنت كاسره ** ولا يَهيضون عظما أنت جابره

- أي يكسرون- ولو قال ذلك في ربه وفاطره ، لكان أسعدَ به من مخلوق مثله" . والله الموفق .

٤٣/ حقيقة المجد:

ولا تَحْسَبَنّ المَجْدَ زِقّـًا وقَيْنَـةً ** فما المَجدُ إلاّ السّيفُ والفتكةُ البِكرُ

• يحذِّر أناسًا كثيرين لاهين في الدنيا لهواً مشينًا ، لا يمت للمجد بصلة، وقد يعتقد أنّ ذلك هو المجدَ أو شكله ومقدمته...! وفي الحقيقة ما هو إلا نزواتٌ عاطفية، ومغامرات صبيانية ، لا تليق بمقام العظماء والفرسان والقادة، ومن كانت له أهدافٌ سامية ، أو لديه همومٌ فاضلة ... ولا تحسبنَ المجدَ زقًا وقينةً..

• والمعنى : يقول: إن المجدَ المُبتغى، والعز المرتجى ، لا تظنّنه في لهوٍ ولعب ، وفي شرب الخمر ، وسماع القِيان، كلا ، ولكن المجد في فروسية وبطش، وتنكيلٍ بالعدو ، وتقدم

وشجاعة . إلا السيف والفتكة البِكرُ..أي الضربة التي ليس لها نظير في فتكها ونوالها...

- وهذا مجدُ المغاوير والقادة في الجيوش وحماية الأوطان ، ومجد العلماء في تصنيف ونشر، والدعاة في وعظٍ وصدع، والتجار في البذل والسماحة ، والمهنيون في الإتقان والإفادة . وهي كلها أمجادٌ تحتاجها أمتنا بسبب حالة الضعف والتشرذم ، وعدوان المعتدين والغزاة المحتلين ، الذين ينهبونَ خيراتها..

- وما سواه من أمجادٍ زائفة ، لاهيةٍ لاغية ، لا يليقُ بنا نعتها بالمجد ولا البطولة ، كما يحصل في بعض الأوساط الفنية والتهريجية....

- ولـذلك يشـتدُّ الحاجـة إلـى أمجـاد الشـجعان ، إبـان الذلـة والاستضـعاف ، ومراحـل التسـلط الأجنبـي، ولـيس مجـد الأوتار والعزف ، فيُصد الأعداء ، وتُضربُ هاماتهم، وتُـدحرُ قواهم... حتى قال بعدها : وَتَركُكَ في الـدُنيا دَوِيّـًا كَأَنَّمـا... تَـداوَلُ سَـمعَ المَـرءِ أَنمُلُـهُ العَشـرُ...! لأن هـذا مـا يُفـرح بـه، ويتنافسُ من أجله..
- لكنه يتطلبُ استعدادًا عسكريا وتجهيزًا بدنيًا وماليًـا ، كمـا قال تعـالى : ﴿وَأَعِـدُّوا لَهُـم مَّـا اسْـتَطَعْتُم مِّـن قُـوَّةٍ وَمِـن رِّبَـاطِ الخَيْلِ﴾ وأمة بلا استعداد عسكري ولا إيمـاني ولا اقتصـادي ، حري أن يطمعَ فيها أعداؤها ، والله المستعان .

٤٤/ لبُ الصراع :

وَالمَشْرَفِيّةُ لا زَالَتْ مُشَرَّفَةً ** دَواءُ كلِّ كَريمٍ ، أوْ هيَ الوَجَعُ

- لبُّ الصراعِ وخلاصتُه وفلسفته ، إما أن تموت شجاعًا تُحسن استعمال السلاح فتنتصر به، أو تعيش جبانًا وتهمله، ولا تستعد لعدو الحياة ، أو رزايا الدهر ، فتهلكك المَشرفية وهي السيوف ... وقس عليها الآن التسلح العسكري ، والبناء الحربي الذي تستخدمه الدول حفاظًا على أمنها وعقيدتها وحدودها ، إن لم تكن ذئبًا أكلتها الذئاب...(وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ).
- وإن كان البيتُ واردا في سياق ظرف الشاعر التاريخي والصولات العسكرية آنذاك ، إلا أن الحياةَ موضعُ اختلاف

وتصارع بين القوى ، وطبيعتها تسلط الأقوياء على الضعفاء، ومن ثَمَّ وجب التأهب والاستعداد ، وجلُّ الامم تصنع ذلك...!

- ومع ذلك فإن الإسلامَ يحرمُ الاعتداء والظلم، ويرفض نهب خيرات الناس أو احتلال الدول، خلافًا لما تصنعه القوى الغربية هذه الأيام ، ويَهيجها في العدوان تراخي خصومها، ورضاهم بحياة الذل والتبعية ، كما قال هو غير مرة ... عش عزيزًا أو مت وأنت كريمٌ ..! لا كما قد حييتَ غيرَ حميدٍ.... وإذا متّ متّ غير فقيدِ...
- ولذلك إذا جُمِّعت الأسلحة بلا تفاعل واستعداد ، وتربية الشباب للدفاع عن بلدانهم ودينهم، كانت وجعًا لهم،

علاوةً على ما يكونُ هنالك من تربيـة للهـوان والتعلـق بالـدنيا وملاذها، كما قال شاعر النيل مستهجنا الطربِ إبانَ الحروب والعطب : وَهيَ وَالأَحداثُ تَستَهدِفُها...تَعشَقُ اللَهوَ وَتَهوى الطَرَبا...! والسلام .

٤٥/ سِحرُ النظرات:

وَما كُنتُ مِمَّن يَدخُلُ العِشقُ قَلبَهُ ** وَلَكِنَّ مَن يُبصِر جُفونَكِ يَعشَقِ

- هو شخصٌ بعيدٌ عن العواطف والتعلق بالغواني، ولا يهتم لهن أو يجري وراءهنَّ، ربما لانشغاله بالجد، أو لدينه وأدبه، أو للقمة عيشه كما في بعض الدول..،! ولكن مرةً غفل، وسرَّح طرفه، فافتتن ، لأن المرأة فتنتها في وجهها وعينيها ، والمرأة تعتني بعينيها وتحسينها... ولذلك قال تعالى : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) سورة النور . لمَّا في ذلك من خطورة على الناظر كما قال جرير قبله: إن العيون التي في طرفها حَورٌ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا ...

- ولذلك من قلّب عينيه في وجوه النساء افتتن ، ودخل قلبه الهوى ، فهَوى في العشق والغرام، وصُرف عن المعالي والمراجل والمراتب . ولذلك لا ينتصر العدو على خصمه اللدود إلا من خلال تسريح الغواني، وبثِّ المجون والفن الساقط، بحيث تضعف الهمم، ويضيع الشباب، ويقل الاستعداد والاهتمام . . .

- ولذلك كان تسريحُ النظر في أعين النساء خطيرا مضرًا بأهله ، ويورثهم المتاعب كما تقدم، ويكفي فيه تعذيبُ صاحبِهِ بالهوى وطول الفكرة وذبول الجسم والهدف..!

ولذلك قال بعدها مصورًا حالته من التعب والبكاء على كل الأطراف : وَبَينَ الرِضا وَالسُخطِ وَالقُربِ وَالنَوى... مَجالٌ

لِدَمعِ المُقلَةِ المُتَرَقرِقِ..! ففيه رضاه نبكي، وفي سخطه نبكـي

وتترقرق المُقَل بالدموع ، والسلام...!

٤٦/ البيئةُ الموافقة:

وَما بَلَدُ الإِنسانِ غَيرُ المُوافِقِ ** وَلا أَهلُهُ الأَدنَونَ غَيرُ الأَصادِقِ

- لا يمكنُ للمرء مجاورةُ خصوم وأشقياء ، يتكالبون عليه ، ويضرونه في فكره وفي عيشه، لأنك لن تهنأ حينئذ ، ولو أغلقت عليك بيتك ... ولذلك قد يتعين السفرُ والارتحال ، كما يرى الشاعر : وما بلدُ الإنسان غيرُ الموافقِ...وما سواه ليس ببلد جميل، ولا بيئة متوافقة، ولا منطقةٍ زاهرة... بسبب التضاد أو الحسد والتربص ..
- وكذلك الأهل والأقارب وجيرانكم ، أقربهم وأطيبهم أصدقاؤه الحقيقيون ، والمحبون الأوفياء ، والخلان الذين

يُغلونك في أشد الظروف ، ويضحون معك، ولو كانوا أباعدَ أو أغرابًا، أو مرفوضين في عنصرية بعض القوم...

- فهم أولى من أقاربَ قطَعَة، أو جيرانٍ لئام ، أو إخوة شرذمة.... كما قد قال المتنبي في قصيدة الحمى : وآنفُ مِن أخي لأبي وأمي... إذا ما لم أجده من الكرامِ..! والكرام حينها من يقف معك، ويصدقك العيش، وترى من مروءته أفضل من أخيك وجارك وحميمك ، واللهُ المستعان.

٤٧/ قبح المال:

والغِنى في يَدِ اللّئيمِ قَبيحٌ ** قَـدْرَ قُـبْحِ الكَـريمِ في الإمْـلاقِ

• للمالِ حقُّه ومزاهـره ، وأهلـه الـذين يصـونون واجبـه وزينتـه ومروءته ، فإذا وضع في أهله وقاموا به رفعهم ، وأعلا شأنهم، واكتسبوا به الشرفَ والمجد .. ولكنَّ بعض النـاس قـد يَضـنّ به ويهون ، فيكتسب به العار والمساءة ، ولـذلك يقبـح المـال في صور كثيرة من أشدها : عنـد لئيم يشـح بـه، وبخيـل يكـره الجود ، مع امتلائه، ولكنه جُبل على حبٍّ يمنعه من المروءة، ويكـره مـن عشـقه السـماحة ، فـلا يشـارك ولا يحفـل ، ولا يحتفـي، وجـلُّ همـه الادخـار والاكتنـاز...! حتـى الزكـاة الشرعية يستثقلها، والله المستعان .

- ولـذلك يعـود عليـه مالـه بالشـتيمة الاجتماعيـة ، والشـقاء الثقافي، فلا يفلح فيه ذكرا ولا مجدا ولا سـؤددا... والعجـب لو تأمل عاقبة ما هو فيه لعلـم أن مـا يحـرزه مـن شـرف متـين، وتاج مكلل يفـوق اضـعاف مـا في الكنـز مـن الخيـر المتـوهم، والثروة المتعاظمة...

- ففـي بذلـه الشـرف الاجتمـاعي ، والمكانـة المجتمعيـة ، والارتقـاء الشـرعي، والسـعادة الروحيـة، وكسـب النـاس، والقبـول عنـد الجميـع ، وسـد العثـرات ، وإذكـاء المـروءة والتفوق على الأقران.

- وقبحُ صورة الغني اللئيم تشبه إلى حد كبير صورة الكـريم المملق، الذي لا يجد مـالًا فينفقـه، ولا ثـراءً فيسـابق بـه، ولا

ميرةً فيجود بها، ولا فضل نعمة فيبادر بها..! فهي موجعة عند الناظرين ، وموجعة له، حيث يتحسر داخليًا من عجزه وظرفه ، فيموت هذا حسرة، ويعلك ذلكَ عارًا وسفالةً ، واللهُ المستعان.

٤٨/ نفاقُ الحب :

وَجائِزَةٌ دَعوى المَحَبَّةِ وَالهَوى ** وَإِن كانَ لا يَخفى كَلامُ المُنافِقِ

- دائما ما يتجاوزُ اللسانُ على الفعال، يقول ويتعالى ، ويودُّ ويتمنى ، وفي الحقيقة هو غير ذلك، حيث لا يقولُ ما في قلبه من الصدق والإبانة ، ولذلك قد يكذب أو ينافق، كحال كثير من العلائق الاجتماعية ، ففي أكثرها تقوم على النفاق الزائد، والمين المبالغ فيه، كما قال هنا : وإن كان لا يخفى كلامُ المنافق ..

- ودعاوى الحبِّ والميل والتعاطف كثيرةٌ عند الناس، ولكن صدقها مرهون بالأفعال ، وروعة الأخلاق ، وطيب الشمائل...وهو متعذرٌ عند المنافقين والمنتفعين

والمطبلـين، لأنهـم يسـتثقلون صـدقَ الفعائـل ، ويتشـدقون بطول الملاسن، ونفاق الملافظ ..

- والحكمةُ هنا والفقهُ: أخذُ الحذر مـن المنـافقين ، ودعـوى حـبهم وتعـاطفهم ومـيلهم .. ويجعـل اللهُ في ألسـنتهم مـن القرائن والملابسات ما يكشفهم ويبين عوارهم، كالمبالغات الزائدة ، وحركات المنطق والوجه ، وقـد اشـتهر قـولُ بعـض السلف : (ما أسرَّ عبدٌ سريرة ، إلا أظهرها اللهُ فلتـاتِ لسـانه ، وتقاسيم وجهه). والسلام .

٤٩/ دموعٌ مصطنعة :

إذا اشْتَبَهَتْ دُموعٌ في خُدودٍ ** تَبَيّنَ مَنْ بَكَى مِمّنْ تَباكَى

- بعضُ من يظهرُ التعاطفَ معك، يحاول أن يُسبلَ دمعه، ويَصُبَّ حزنه الحقيقي ، عبرَ دموعٍ منهلة ، وأعينٍ منصبة، ولكنّ الموقفَ وسيلانَ الدموع على الخدود ، تكشف العاطفة الحقيقية ... تبينَ من بكى ممن تباكى... ومن يتباكى ليس له دموعٌ حرَّى ، ولا محازن جُلّى، وصراخه ممجوج، وأناته مكشوفة ...

- والصادقُ في البكاء ، تسطعُ معالمُه، وتُرى مدامعُه ، وتنهمرُ عواطفُه، ويُرى كأنه مفجوعٌ معك، يحملُ مصابك، ويشتكي

حزنك، ويتألم لموجعك ..! وإذا سالت مدامعه بانَ صدقها ، والتهبت حرارتها ، ولم تَبن منه محاكاةٌ أو تمثيل..

• ولا يزالُ الناسُ يعرفون البكّائين من المتباكين، حيث تظهرُ العلامات، فيُعرفون بها في المصائب وفي المواعظ والصلوات ..! بل إنَّ الأمرَ يصبح سَمجًا ثقيلًا على الحضور والمستمعين ، وأما حديث ابن ماجه : (يا أيُّها الناسُ ابْكُوا فإنْ لَمْ تَبْكُوا فتبَاكَوا) . فلا يصح . ولذلك كره العلماء تباكي القراء والمصلين المفتعل ، لجلاء التكلف فيه، ولكن وقع الآيات يخرجُ ما في القلب من خشيةٍ ورهبة، فتقشعرُ الأجساد، وتنهمرُ العيون ، ومن الشقاء أن بعضهم تكلف البكاءُ في خطبه وصلاته، حتى قلاهُ الناس ، وضاقوا

منه، فلا تتلاعبْ مع الذي يعلمُ خائنةَ الأعين وما تخفي الصدور ...! والله الموفق .

٥٠/ الأنثى المُكمَّلة:

وما التأنيثُ لاسمِ الشّمسِ عَيبٌ ** ولا التّـذكيرُ فَخْـرٌ للهِـلالِ

- دائمًا ما يفتخرُ الرجال على النساء ، وأنهم أهلُ الضراب والنكال والشهامة والهمّات، ويتجاهلون دورَ النساء الاجتماعي والتربوي ، وأن النساءَ مصنعُ للرجال، فقد خرجوا منهن، وأسهمن في تربيتهم وإصلاحهم... فلِمَ التنكرُ والتجاهل. ولذلك كانت المرثية هنا في حسِّ الشاعر امرأة عظيمة ، ذات صفات حتى قال : ولَوْ كانَ النّساءُ كمَنْ فَقَدْنا... لفُضّلَتِ النّساءُ على الرّجالِ..

- وليس كلُّ المؤنثات منتقصات ، فها هي الشمسُ مؤنثة ، ولكنها عظيمة الفوائد على الكائنات ، وقس عليها أشياء

كثيرة .. وفي الصحابة والتابعين عالمات وفضليات لهن مناقب وأثر ودور، وقد قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين : (كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ). ولكن ليس معنى الكمال انتقاصهن وتعييبهن كما يفعله جهال..،! قال الإمام النووي رحمه الله : " والمُرَادُ هُنَا : التَّنَاهِي فِي جَمِيعِ الْفَضَائِلِ وَخِصَالِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" .

- ولا شك أن ذلك غالب في الرجال لاكتمال خلقتهم وصفاتهم القوية ، ولكن ليس معناه التقليل من فضلِ المراة ودورها التربوي والحضاري في الأمة ، واللهُ تعالى أعلم.

- وحفظ لنا التاريخُ الإسلامي سيرَ عالمات ومحدثات كثيرات ، منهن فاطمةُ بنت عيّاش البغدادية يقول الصفدي: " الشيخة المُفتية العالمة الزاهدة العابدة، كانت تصعد المنبر وتعِظ النساء، فينبنَ لوعظِها، وانتفع بها نساء أهل دمشق،.." . اهـ . وثمةَ علماء أخذوا عن النساء ، كالإمام البخاري وابن الجوزي وابن تيمية وابن عساكر والسيوطي وغيرهم الكثير، قد تلقوا العلم على يد نساء عالمات فقيهات،...! وامتلأت كتب مشهورة من التراجم، كأسد الغابة والاصابة وتهذيب الكمال بأسماء آلاف من فضليات النساء، ومن كلمات ابن حزم رحمه الله في ذلك :" تربيتُ في حجورهنّ، ونشأتُ بين أيديهنّ، ولم أعرف غيرهنّ، ولا

جالستُ الرجال إلا وأنا في حد الشباب.. وهنّ علمنّني القرآن وروينّني كثيرًا من الأشعار ودربنّني في الخط ". والله الموفق .

تمّ (المفاز الأدبي من درر المتنبي) ،

بحمد الله وتوفيقه....

فهرس الموضوعات